رسالة الأمة الإسلامية

المناسبة: ذكرى المبعث النبوي الشريف

المكان: طهران ـ حسينية الإمام الخميني (ره)

الحضور: مدراء الدولة وسفراء البلدان الإسلامية

الزمان: ٢٦/٢/١٣٩٤ش. ٢٧/٧/١٤٣٩هـ. ١٦/٠٥/٢٠١٥م.

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أبارك هذا العيد الكبير والتاريخي والمنقطع النظير لكم جميعاً أيها الحضور المحترمون والضيوف الأعزاء ولكل شعب إيران ولعموم المسلمين في العالم، وكذلك لكل البشر الذين تخفق قلوبهم للعدالة والإنسانية والحرية. البعثة عيد للجميع وليس للمسلمين فقط. الاحتفال بالبعثة وإحياء يوم البعثة هو في الواقع وعلى الأغلب من أجل أن نعيد قراءة مضمون البعثة ونتعلم منها الدروس، هذا هو الهدف. إننا بحاجة لدروس البعثة إلى الأبد، فالبعثة ليست مجرد حادثة تاريخية لفترة معينة من الزمن، إنما هي لكل أحقاب التاريخ.

ما أروم اليوم أن أختاره من هذه المنظومة الهائلة من دروس البعثة لأذكره باختصار هو أن البعثة جاءت لمواجهة الجاهلية. الجاهلية في الأدبيات الإسلامية هي فترة ما قبل بزوغ نبوة الرسول الأكرم (ص). وينبغي عدم التصور بأن هذه الجاهلية كانت تختص بجزيرة العرب وعرب مكة والحجاز وباقي تلك المناطق، لا، لقد كانت تلك الجاهلية عامة، فإيران في ذلك الزمن كانت غارقة هي الأخرى في الجاهلية، والإمبراطورية الرومانية في ذلك العهد أيضاً كانت غارقة في الجاهلية، وقد ظهر الإسلام وبعثة الرسول الأكرم (ص) لمواجهة كل هذه الجاهلية. ليست الجاهلية بمعنى الافتقار إلى العلم فقط، فثمة في التعابير والأدبيات الإسلامية معنى واسع جداً للجاهلية. جزء من الجاهلية هو فقدان العلم وعدم التوفر على العلم، لكن الجاهلية بالمعنى الواسع عبارة عن غلبة وسيادة قوى الشهوة والغضب الإنساني على الأجواء الحياتية، هذه هي الجاهلية. معنى الجاهلية هو أن تصبح المجتمعات الإنسانية بتأثير من النزعات الشهوية والغضبية لساستهم في الغالب بشكل تغيب فيه الفضائل وتسود فيه الرذائل. هذه هي الجاهلية.

هناك مساحة واسعة من الضلال في حياة الناس الجاهليين: فمن جانب هناك الزمام المنفلت للشهوات النفسانية والشهوات الجنسية وما إلى ذلك ـ ولكم أن تنظروا إلى بيئة الجزيرة العربية هذه، وقد كانت باقي البيئات في ذلك الزمن على نفس النحو، فقد كانت غارقة في الشهوات بشكل منفلت وكان بوسع كل شخص أن يمارس شهواته ـ ومن ناحية أخرى فإن نفس هؤلاء الناس التابعين لشهواتهم كانوا على صعيد القسوة والتدمير وسفك الدماء يذهبون كل مذهب ولا يقفون عند حدود معينة، فقد كانوا يقتلون أبناءهم ﴿قَد خَسِرَ الَّذينَ قَتَلوا اَولادَهُم سَفَهًا بِغَيرِ علم﴾ (٢). إنهم يفعلون ذلك بدافع السفاهة، والسفاهة هي نفسها الجاهلية. لقد وصلت القسوة إلى درجة يقتلون فيها لا أطفال الناس فقط ولا نساء وأطفال الآخرين الأبرياء فقط، بل لا يرحمون حتى أطفالهم! هذه هي الجاهلية. الشهوة من ناحية والغضب من ناحية أخرى، وإذا بأجواء الحياة تقع أسيرة لهذين الشعورين الجامحين المنفلتين. وجاء الإسلام ليغير هذا الوضع. وطبعاً كان نفس هذا الوضع بالضبط في بلاطات إيران الساسانية وفي بلاطات الرومان، وفي سائر الأماكن التي تحكمها إمبراطوريات وبلاطات وحكومات طاغوتية ظالمة. ونهض الإسلام بوجه كل هذا الواقع القبيح ﴿لِلعالَمينَ نَذيرًا﴾ (٣). لقد خاطب العالم كله بإنذاره، هذه هي رسالة الإسلام.

والجاهلية موجودة في العالم اليوم أيضاً. علينا أن نفتح أعيننا ونعرف الجاهلية. اليوم أيضاً يوجد نفس هذا المعنى، حيث الشهوات غير المحدودة والمنفلتة وغير المنطقية. منطق الشهوات في العالم الغربي اليوم هو «الميل». نقول: لماذا تروّجون للشذوذ الجنسي والمثلية الجنسية؟ يقولون: لأن هذا ميل بشري. هذا هو منطقهم! ونفس هؤلاء الذين لا يقفون عند حد في باب الشهوات، حيث لا يراعون أية خطوط حمراء في مجال الشهوات الجنسية وشتى الشهوات البشرية، ويذهبون فيها كل مذهب، حينما يأتي الدور للقسوة يمكن أن نشاهد نفس تلك الحالة من انفلات الزمام: يقتلون البشر ويذبحون الأبرياء ويقمعون الشعوب دون أي ذنب. هذه هي الجاهلية القائمة في العصر الحاضر؛ الجاهلية الحديثة. الفرق بين هذه الجاهلية والجاهلية في صدر الإسلام ـ الجاهلية الأولى حسب تعبير القرآن الكريم ـ هو أن الجاهلية اليوم متسلحة ومجهزة بسلاح العلم، فالعلم الذي ينبغي أن يكون مبعث فلاح للإنسانية أضحى وسيلة لتعاسة الإنسانية وبؤس المجتمعات البشرية. الذين يتعسفون مع سكان العالم اليوم يتعسفون بالاعتماد على منتجاتهم العلمية، فالأسلحة التي

يمتلكونها هي من صناعة وإنتاج العلم، وأدواتهم المعلوماتية والأمنية والأجهزة الإعلامية الهائلة التي يمتلكونها كلها من منتجات العلم، وكل هذه تستخدم لخدمة الشهوات والغضب. هذا هو الوضع في العالم اليوم. المجتمع الإسلامي يواجه مثل هذا الواقع، وعلى العالم الإسلامي أن يشعر بهذا ويدركه.

لقد أعيد إنتاج الجاهلية اليوم، وبقدرة عالية جداً، وبخطر يفوق مئات بل آلاف المرات خطر جاهلية الأيام الأولى والحقبة الإسلامية الأولى. طبعاً الإسلام أيضاً والحمد لله صار مجهزاً ومستعداً، فالقوة الإسلامية العظيمة منتشرة في العالم اليوم باستخدامها لمختلف الأدوات، وآمال التوفيق والانتصار على أساليب الأعداء ليست بالقليلة، بل هي آمال كبيرة، والشيء الضروري في هذا المضمار هو بالدرجة الأولى «البصيرة» وبالدرجة الثانية «العزيمة والهمّة»، هذا هو الشيء الذي نحتاجه نحن الشعوب المسلمة.

العالم الإسلامي يتعرض اليوم لمشكلات كبيرة حقاً. لكم أن تنظروا للوضع في البلدان الإسلامية في منطقتنا من باكستان إلى أفغانستان حتى سورية ولبنان وفلسطين، ومن اليمن إلى ليبيا، والبلدان الإسلامية في منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا يعانون اليوم من مشكلات ومعضلات كثيرة: مشكلة انعدام الأمن، والاقتتال بين الأخوة، ومعضلة سيطرة الجماعات التي لا تعرف الرحمة، وخلف كل ذلك هناك مشكلات المخططات الاستكبارية للقوى الكبرى وعلى رأسها أمريكا، التي تخوض غمار الساحات تحت طائلة صيانة مصالحها وتفعل كل ما تشاء ـ وهذا هو نفسه الشهوة والغضب ـ فتقتل البشر الأبرياء وتدعم الجماعات المنحطة.

وإعلامهم للحق إعلام واسع ويغطون كل هذا بأغطيتهم. هذا السياسي الإنجليزي المعروف من الجيل السابق تشرشل ـ ونحن الإيرانيين على معرفة جيدة باسم تشرشل ـ له كلمة تنطوي على سخرية عجيبة. يقول إن الحقيقة عزيزة إلى درجة يجب معها على الإنسان أن يغلفها بأغطية من الأكاذيب ويصونها! لاحظوا، هذا هو منطقهم! الكذب والإعلام المغاير للواقع، والكلام المعاكس تماماً للحقيقة، هذا هو الشيء الذي يشاهده المرء في السياسات الغربية.

يزعم الأمريكان اليوم إنهم يريدون محاربة الإرهاب، والحال أنهم هم الذين أوجدوا أخطر الجماعات الإرهابية العاتية، من الذي أوجد داعش؟ هم أنفسهم يعترفون بأن لهم دوراً مهماً

وأساسياً في إيجاد داعش. والجماعات الكبيرة والصغيرة الأخرى مثل داعش من الذي أطلقها على العراق وسورية وباقي المناطق؟ هذا الرصاص وهذه الأدوات والمعدات والدولارات التي في جيوب هؤلاء البشر المجرمين القتلة، من أين جاءت؟ من أين تأتي هذه الأموال؟ الأفراد الذين يدعمون بأمر من السياسات الأمريكية هذه الجماعات الإرهابية الخطيرة العاتية في المنطقة، من هم؟ هل هناك شك في أن للاستكبار يد في خلق الإرهاب وإشاعته ومساعدته ودعمه في منطقتنا، وله أكبر الدور في ذلك؟ عندما ينظر المرء في كل أنحاء هذه المنطقة يشاهد هذه اليد الخبيثة للأعداء في إنتاج حادثة الإرهاب. من الذي يدعم الدولة الصهيونية الزائفة التي تمارس الجور بهذا الشكل على فلسطين في غزة وفي الضفة الغربية؟ من الذي يدعمها؟ من الذي يمهد لها الطرق؟ ومن الذي يقف خلفها للدعم والإسناد؟ إنها القوى الغربية وعلى رأسها أمريكا. وإذا بهم يقولون في شعاراتهم وتصريحاتهم بأننا نعارض الإرهاب ونعارض داعش. يكذبون ويقولون بخلاف الواقع. هذه جاهلية؛ إنها الجاهلية القائمة في العالم اليوم.

يجب أن نكون واعين. أيها الإخوة الأعزاء ويا شعب إيران العزيز، ويا أيتها الأمة الإسلامية الكبرى، ويا مدراء البلدان وساستها، اعلموا أننا نستطيع الوقوف بوجه هذه الجاهلية. إن السياسات الخبيثة للاستكبار في منطقتنا في الوقت الراهن قائمة على خلق حروب بالنيابة. يحرضون بلدان المنطقة أو جماعات داخل البلدان ويدفعونهم للاقتتال في ما بينهم، وكل ذلك من أجل مصالحهم التي يتابعونها في مثل هذه الأجواء، فيملؤون بذلك جيوب شركات صناعة الأسلحة، ويعالجون سياساتهم الاقتصادية في اقتصادهم القريب من الإفلاس. هذا هو هدفهم، ويجب أن نتحلى بالوعي واليقظة.

يتحدثون عن منطقة الخليج الفارسي. أمن منطقة الخليج الفارسي مصلحة مشتركة لبلدان الخليج الفارسي. نحن البلدان المطلة على الخليج الفارسي والقريبة منها لنا مصلحة مشتركة، فنحن جيران، وأمن هذه المنطقة لصالحنا جميعاً. إذا كان الخليج الفارسي آمناً فسوف ننتفع كلنا من هذا الأمن، وإذا لم يكن آمناً فلن يكون آمناً لنا جميعاً. الخليج الفارسي غير الآمن سيكون غير آمن للجميع، لكن الذين يجب أن يصونوا هذا الأمن هم الذين يعود لهم الخليج الفارسي وهم أصحابه ومن يعدّ الخليج الفارسي بيتهم، فما شأن أمريكا لتأتي إلى هنا وتصرح بخصوص قضايا الخليج الفارسي، وتستقطب الحلفاء؟ إنهم لا

ينشدون الأمن بل ينشدون مصالحهم، وإذا وجدوا من الضروري أن يزعزعوا الأمن في مكان ما زعزعوه، ودعموا الطرف الذي يزعزع الأمن هناك.

طيب، اليمن أضحى غير آمن، وصار ساحة لتقتيل الأطفال والنساء، أليس هذا بانعدام أمن؟ من الذي يدعم انعدام الأمن هذا؟ أمريكا. وللأسف فإن الفاعل هو بلدان تسمى مسلمة وهي بلدان المنطقة، لكنها مخدوعة، والداعم والمخطط هم أولئك الذين يروجون للإرهاب وينشرونه.

ثم يقولون إن إيران تدعم الإرهاب. لقد حاربنا الإرهاب ووجهنا له صفعة. لقد انبثق الإرهاب في بلادنا بأموال العدو وبمخططات أمريكا، لكن الشعب الإيراني وجه قبضته بضربة قوية على رأس الإرهاب في داخل البلاد، وسيكون هذا هو الوضع بعد الآن أيضاً.

إننا في داخل بلادنا وفي العراق وفي سورية ولبنان، تعاونّا مع الذين يحاربون الإرهاب وساعدناهم وسنساعدهم أيضاً، فنحن على الضد من الإرهاب. وأخطر وأخبث الإرهابيين في هذه المنطقة هم الصهاينة. إننا نواجه الصهاينة. يقولون عنا إن إيران تدعم الإرهاب! أنتم الذين تدعمون الإرهاب، وأمريكا هي التي تدعم الحكومة الصهيونية الإرهابية، وأمريكا هي التي أوجدت داعش وتدعمها. أنتم الذين دعمتم الإرهابيين في سورية الذين يقتلون البشر ويحرقون البشر وهم أحياء، ويشقون صدر الميت ويستخرجون قلبه ويعضونه بأسنانهم، أنتم الذين دعمتم هؤلاء وشجعتموهم. طائراتكم من دون طيار دمرت بيوت الناس في باكستان وأفغانستان، وبدلت مجالس أعراس الناس مآتم ـ وهذا ما حصل في العراق أيضاً ـ هذه أعمال تقومون بها أنتم، والإرهاب إرهابكم، وأنتم الإرهابيون. يقولون إيران تدعم الإرهاب؛ الأعمال الإرهابية أعمالكم، ونحن نعارض الإرهاب وسنحارب أي إرهاب. إننا سندافع عن أي مظلوم، والشعب اليمني اليوم مظلوم، وما من ظلم أشد من أن تقتلوا المسلمين في الشهر الحرام، وشهر رجب شهر حرام. حتى مشركو مكة عندما كان يحلّ الشهر الحرام كانوا يوقفون الحرب.

الأسوء والأقبح من أوضاع مكة في ذلك الحين هم في الوقت الحاضر من يتركون العوائل اليمنية في شهر رجب الحرام في مآتم وعزاء، ويهاجمون في كل يوم وليلة بطائراتهم منطقة واحدة مائة مرة أو مائتي مرة بذرائع واهية وأدلة خاطئة وادعاءات كاذبة. هذا الشعب شعب مظلوم، الشعب اليمني شعب مظلوم، والشعب البحريني شعب مظلوم، والشعب الفلسطيني

يعاني من ظلم مزمن ويتعرض للضغوط والجور منذ سنين طويلة. إننا نساعد المظلوم بأيّ قدر نستطيعه، وهذا واجبنا بمقدار قدراتنا واستطاعتنا، وقد قال لنا الإسلام: «كن لِلظّالِمِ خَصماً وللمَظلومِ عَونا» (٤) ـ هذه توصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ـ نحن لا نَقول «اُنصُر اَخاك ظالماً اَو مَظلوما» فهذا شعار جاهلي. كانوا يقولون انصر أخاك ودافع عنه سواء كان ظالماً أَو مظلوماً، والقرآن الكريم لا يقول هذا والمعارف الإسلامية تمنع هذا. كلا، الظالم أي كان ينبغي مواجهته والحيلولة دون ظلمه، والمظلوم أي كان يجب حمايته ومساعدته.

لتحذر بلدان المنطقة، فسياسة أعداء هذه المنطقة وأعداء هذه المنظومة الإسلامية هي تخويف هذه البلدان بعضها من بعض، حيث يختلقون أعداء وهميين ويهمشون العدو الأصلي وهو الاستكبار والشركات المعتدية والتابعون لها والصهيونية. يختلقون أعداء وهميين، فيضعون إيران في مقابل العرب، والقومية الفلانية في مقابل القومية الفلانية، والشيعة مقابل السنة، هذه هي سياسات الأعداء، والتي ينبغي مجابهتها. مجابهة مثل هذه السياسات هي مجابهة للجاهلية. الجاهلية الحديثة اليوم جاهلية عنيفة ولا ترحم وقاسية القلب ومتسلحة بمختلف الأدوات والأجهزة، ويجب مواجهتها بدقة ووعي، وقد قام الشعب الإيراني بمواجهتها وسيستمر في هذا الطريق.

شعوب المنطقة قد استيقظت لحسن الحظ. نعم، لقد قمعوا الصحوة الإسلامية موقتاً، لكن الصحوة لا تقمع، والبصيرة لا تقمع. الشعب الإيراني يقظ واع والكثير من شعوب المنطقة واعية يقظة، والأمة الإسلامية والحمد لله آخذة بالصحوة واليقظة. والأعداء طبعاً يعملون على التسلط والهيمنة فللباطل جولة (٥). واجبنا اليوم حيال ذكرى بعثة الرسول الأكرم (ص) هي هذه الأمور؛ يجب أن لا ننسى رسالة الأمة الإسلامية ولا نتجاهل قوى وطاقات هذه الأمة. ولحسن الحظ فإن طاقة الأمة الإسلامية طاقة كبيرة جداً، والدليل الواضح على ذلك هو أنهم يسعون منذ سنين طويلة لقمع قوى الصحوة والمقاومة في المنطقة بكل ما أوتوا من قوة وبطش لكنهم لم يستطيعوا الحصول على نتيجة. وهم يحاربون الجمهورية الإسلامية محور هذه الصحوة منذ ٣٥ عاماً وقد أخفقوا والحمد لله وسيخفقون وينهزمون بعد الآن أيضاً.

اللهم، سلّم وترحّم على كل شهداء هذا الدرب وكل المجاهدين في هذا السبيل. اللهم احشر إمامنا الخميني الجليل الذي علمنا هذه الدروس وفتح أمامنا هذا الدرب مع أوليائه، واحشر شهداءنا الأبرار مع الرسول الأكرم (ص).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ ـ قبيل كلمة الإمام الخامنئي، تحدث في هذا اللقاء رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الشيخ حسن روحاني.

٢ ـ سورة الأنعام، شطر من الآية: ١٤٠ .

٣ ـ سورة الفرقان، شطر من الآية: ١ .

٤ ـ غرر الحكم ودرر الكلم، ص: ٥٢٩ بقليل من الاختلاف.

٥ ـ غرر الحكم ودرر الكلم، ص: ٥٤٤ .